تَرْجَمَةُ

الْإِمَامِ الْمُوَفَّق ابْن قُدَامَةَ

مِنْ (ذَيْلِ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ)[1]

لِلْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ

مع التعليق عليها

ويليه

مصادر أخرى لترجمة موفق الدين ابن قدامة

مرتبة حسب وفيات مؤلفيها

ضبط نصها وعلق عليها

أبو أنس

خالد بن سليمان آل فرغلي السُّوَيْفي

---

(١) الترجمة في ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، بتحقيق عبد الرحمن العثيمين ٢٨١/٣-٣١٥، وبتصحيح محمد حامد الفقي، طبع أنصار السنة المحمدية، سنة ١٣٧٢هـ ١٣٣/٢.

مركز

الصراط المستقيم

للبحوث والدراسات وتحقيق التراث والترجمة

E-mail: alserat٢٠١٣@yahoo.com

نشرة إلكترونية مجانية

ذو القعدة ١٤٤٢هـ

❁❁❁❁❁



BLOGGER:
http://alsuwify.blogspot.com/

FACEBOOK:
https://www.facebook.com/khalidalsuwify

TWITTER:
https://twitter.com/khalidalsuwify

نَصُّ التَّرْجَمَة

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُدَامَةَ بْنِ مِقْدَامِ بْنِ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ المَقْدِسِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الصَّالِحِيُّ الْفَقِيهُ، الزَّاهِدُ الْإِمَامُ شَيْخُ الإِسْلامِ، وَأَحَدُ الْأَعْلَامِ، مُوَفَّقُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ، أَخُو الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ[١].

وُلِدَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بـ (جَمَّاعِيلَ)[٢] وَوَهِمَ الدُّبَيْثِيُّ فِي ذَكْرِ مَوْلِدِهِ[٣].

---

(١) أبو عمر هو الأخ الشقيق للموفَّق، وأخوهما عبيد الله لأبيهما، وهو عميد آل قدامة، ومن ذريته أكثر علمائهم، وقد غلب عليه التعبد والاشتغال بنفع الناس من أقاربه وغيرهم، ولم يصنِّف، لكنه نسخ كثيرًا من الكتب بخطه. توفي سنة ٦٠٧هـ. ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ت العثيمين ١٠٨/٣-١٢٥.

(٢) جَمَّاعِيلَ: بالفتح، وتشديد الميم، وألف، وعين مهملة مكسورة، وياء ساكنة، ولام: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين منها كان الحافظ عبد الغني المقدسي ابن خالة الموفَّق، انتسب إلى بيت المقدس لقرب جمَّاعيل منها، ولأن نابلس وأعمالها جميعًا من مضافات البيت المقدس، وبينهما مسيرة يوم واحد. معجم البلدان ١٥٩/٢. قلت: وكذا انتسب الموفَّق إليها.

(٣) ذكر أنه الدمشقي المولد والدار. ذيل تاريخ بغداد، لابن الدبيثي ٤٣٨/٣.

وقَدِمَ دِمَشْقَ مَعَ أَهْلِه وَلَهُ عَشْرُ سِنِينَ، فَقَرَأ الْقُرْآن، وَحَفِظ (مُخْتَصَرَ الخِرَقِيّ)، وَاشْتَغَلَ، وَسَمِعَ مِنْ وَالِدِهِ[١]، وَأَبِي الْمَكَارِمِ بْنِ هِلَالٍ[٢]، وَأَبِي الْمَعَالِي بْنِ صَابِرٍ[٣]، وَغَيْرِهِمْ[٤].

---

(١) والده الشيخ أبو العبَّاس أحمد، خطيب جَمَّاعيل، كان رجلًا صالحًا، زاهدًا، عابدًا، صاحبَ كراماتٍ وأحوالٍ وعباداتٍ ومجاهداتٍ. توفي سنة ٥٥٨هـ. ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة، ت العثيمين ١٢٥/٣، في ترجمة ولده أبي عمر، وهو جد آل قدامة المقادسة، هاجر بهم إلى دمشق، لما استولى الصليبيون على بيت المقدس.

(٢) أبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلَّم بن هِلَال الأزدري الدمشقي، الأمين، المسند. توفي سنة ٥٦٣هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٩٩/٢٠-٥٠٠.

(٣) أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي الدمشقي. توفي سنة ٥٧٦هـ. سير أعلم النبلاء ٤٩٨/٢٠-٤٩٩.

(٤) ذكر محققا (المغني) شيوخه مرتبين على حروف المعجم، وهم اثنان وثلاثون شيخا. ينظر مقدمة تحقيق المغني ص١١-١٧. وسوف أترجم لمن ذكر منهم هنا في الحاشية تراجم مختصرة.

وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ هُوَ وَابْنُ خَالَتِهِ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ[1] سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَسَمِعَا الْكَثِيرَ مِنْ هِبَةِ اللَّهِ الدَّقَّاقِ[2]، وَابْنِ البَطِّيِّ[3]، وَسَعْدِ اللَّهِ

---

(١) هو الإِمَامُ، العَالِمُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، الصَّادِقُ، القُدْوَةُ، العَابِدُ، الأَثَرِيُّ، المُتَّبِعُ، عَالِمُ الحُفَّاظِ، تَقِيُّ الدِّيْنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الغَنِيِّ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ عَلِيِّ بنِ سُرُوْرِ بنِ رَافِعِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيُّ، الجَمَّاعِيْلِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ المَنْشَأ، الصَّالِحِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، صَاحِبُ الأَحكَامِ الكُبْرَى، وَالصُّغْرَى، والكَمَال في أسماء الرِّجال، وغيرها. توفي سنة ٦٠٠هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٤٣/٢١.

(٢) أَبُو القَاسِمِ هِبَةُ اللهِ بنُ الحَسَنِ بنِ هِلاَلِ بنِ عَلِيِّ بنِ حِمْصَاءَ العِجْلِيُّ، السَّامَرِّيُّ، الكَاتِبُ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، ابْنُ الدَّقَّاقِ، شَيْخٌ مُعَمَّرٌ، صَحِيْحُ الرِّوَايَةِ. قَالَ السَّمْعَانِيُّ: كَانَ شَيْخاً لاَ بَأْسَ بِهِ، ظَاهِره الخَيْر وَالصَّلاَح. وَقَالَ: هُوَ - فِيمَا أَظُنُّ - أَقدمُ مَشَايِخِنَا سَمَاعاً. توفي سنة ٥٦٢هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٧١/٢٠.

(٣) الشَّيْخُ الجَلِيْلُ، العَالِمُ، الصَّدُوْقُ، مُسْنِدُ العِرَاقِ، أَبُو الفَتْحِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ البَاقِي بنِ أَحْمَدَ بنِ سَلْمَانَ البَغْدَادِيُّ، الحَاجِبُ، ابْنُ البَطِّيّ. اعْتَنَى بِهِ وَالِدُهُ مِنَ الصِّغَرِ. قَالَ الموفَّق: هُوَ شَيْخُنَا وَشَيخُ أَهْلِ بَغْدَادَ فِي وَقْتِهِ، وَأَكْثَرُ سَمَاعَاتِهِ عَلَى أَبِي الفَضْلِ بنِ خَيْرُوْنَ، وَمَا رَوَى لَنَا عَنْ رِزْقِ اللهِ وَالحُمَيْدِيّ وَحَمْدٍ غَيْرُهُ، وَكَانَ ثِقَةً، سَهْلاً فِي السَّمَاعِ. توفي سنة ٥٦٤هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٨١/٢٠-٤٨٤.

الدَّجَاجِي(١)، وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ(٢)، وَابْنِ تَاجِ الْفَرَّاءِ(٣)، وَابْنِ شَافِعٍ(٤)، وَأَبِي زُرْعَةَ(٥)، وَيَحْيَى بْنِ ثَابِتٍ(٦)، والمُبَارَكِ بْنِ خُضَيرٍ(٧)، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ

---

(١) سعد الله بن نَصْر بن سعيد بن علي، أبو الحسن ابن الدَّجَاجي البغدادي الواعظ المُقْرئ. توفي سنة ٥٦٤هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٣١٧/١٢.

(٢) الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَالِمُ، الزَّاهِدُ، العَارِفُ، القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، عَلَمُ الأَوْلِيَاءِ، مُحْيِي الدِّينِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ القَادِرِ ابنُ أَبِي صَالِحٍ عَبْدِ اللهِ بنِ جنكي دوست العظيم القدر، الحَسَنِيُّ، الجِيْلِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، شَيْخُ بَغْدَادَ. أدركه الموفَّق في آخر عُمُره ببغداد، ونَزَلَ عِنْدَهُ بِمَدْرَسَتِهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الخِرَقِي. مَوْلِدُهُ: بِجِيلاَنَ فِي سَنَةِ ٤٧١هـ، وتوفِّي سَنَة ٥٦١هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٣٩/٢٠.

(٣) الشَّيْخُ، الزَّاهِدُ، المُعَمَّرُ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ رَافِعٍ الطُّوْسِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، وَيُعْرَفُ: بِابْنِ تَاجِ القُرَّاءِ. تُوُفِّي ٥٦٣هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٧٩/٢٠.

(٤) أحمد بْن صالح بْن شافع بْن صالح بْن حاتم، أَبُو الفضل بْن أَبِي المعالي الْجِيليّ ثمّ البغداديّ الحافظ. أحد الشّهود والعُلَمَاء. توفّي سنة ٥٦٥هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٣٣٤/١٢.

(٥) الشَّيْخُ، العَالِمُ، المُسْنِدُ، الصَّدُوْقُ، الخَيِّرُ، أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرُ ابْنُ الحَافِظِ مُحَمَّدِ بنِ طَاهِرِ بنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيُّ، المَقْدِسِيُّ، ثُمَّ الرَّازِيُّ، ثُمَّ الهَمَذَانِيُّ. تُوُفِّيَ فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ، سَنَة ٥٦٦هـ، بِهَمَذَانَ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٥٠٤/٢٠.

(٦) الشَّيْخُ الجَلِيْلِ، المُسْنِدُ، العَالِمُ، أَبُو القَاسِمِ يَحْيَى بنُ ثَابِتِ بنِ بُنْدَارَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ الدِّيْنَوَرِيُّ الأَصْلِ، البَغْدَادِيُّ، البَقَّالُ، الوَكِيْلُ. مَاتَ فِي سنة ٥٦٦هـ، عَنْ نَيِّفٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٥٠٦/٢٠.

(٧) الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، الصَّادِقُ، المُفِيْد، أَبُو طَالِبٍ المُبَارَك بن عَلِيّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ ابْنُ خُضَيْرٍ البَغْدَادِيّ، الصَّيْرَفِيّ، البَزَّاز. وتوفي سَنَةِ ٥٦٢هـ فَجْأَةً. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٨٧/٢٠.

النَّقُّور[1]، وشُهْدَةَ[2]، وخَلْقٍ كَثِيرٍ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ المُبَارَك ابْنِ الطَّبَّاخِ[3]، وَبِالْمَوْصِلِ مِنْ خَطِيبِهَا أَبِي الفَضْلِ[4].

---

(١) الشَّيْخُ، المُحَدِّثُ، الثِّقَةُ، الخَيِّرُ، أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ ابْنُ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُوْرٍ مُحَمَّدِ ابْنِ الشَّيْخِ الكَبِيْرِ أَبِي الحُسَيْنِ أَحْمَدَ بن مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ النَّقُّوْرِ البَغْدَادِيُّ، البَزَّازُ. تُوُفِّيَ سنة ٥٦٥هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٤٩٩/٢٠.

(٢) شُهْدة بِنْت أحمد بْن الفرج بْن عُمَر الإبري فخر النساء بِنْت أَبِي نصر الدينوري الأصل البغدادي الكاتبة، امْرَأَة جليلة صالحة ذات دين وورع وعبادة. سَمِعت الكثير وعُني بها أبوها، وأحضرها مجالس السماع عَلَى الشيوخ، وعُمِّرت وصارت أسند أهل زمانها. توفيت سنة ٥٧٤هـ، وَقَدْ نَيَّفَت عَلَى التسعين سنة. ذيل تاريخ بغداد، لابن الدبيثي ١٤٢/٥.

(٣) المبارك بْن علي بْن الْحُسَيْن بْن عَبْد اللَّه بْن مُحَمَّد، أَبُو مُحَمَّد بْن الطَّبَّاخ البَغْدَادِي، الحنبلي، نزيل مَكَّةَ. كان إمامَ الحَنَابِلة بِمَكَّةَ. توفِّي سنة ٥٧٥هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٥٦٥/١٢.

(٤) الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَالِمُ، الفَقِيْهُ، المُحَدِّثُ، مُسْنِدُ العَصْرِ، خَطِيْبُ المَوْصِلِ، أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ القَاهِرِ بنِ هِشَامٍ الطُّوْسِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، ثُمَّ المَوْصِلِيُّ، الشَّافِعِيُّ. تُوُفِّيَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٥٧٨هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٨٩/٢١.

وَأَقَامَ عِنْدَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ بِمَدْرَسَتِهِ مُدَّةً يَسِيرَةً(١)، فَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ (الْخِرَقِي)، ثُمَّ تُوَفِّيَ الشَّيْخُ، فَلَازَم أَبَا الْفَتْحِ بْنَ الْمَنِّيِّ(٢)، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمَذْهَبَ وَالْخِلَافَ وَالْأُصُولَ حَتَّى بَرَعَ.

وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ. هَكَذَا ذَكَرَهُ الضِّيَاءُ(٣)، عَنْ أُمِّهِ، وَهِيَ أُخْتُ الشَّيْخِ(٤)، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ. كَذَا قَالَ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ(٥).

---

(١) ورد في ترجمة الحافظ عبد الغني أنها أربعون يوما، وقال الذهبي: أدركا من حياة الشيخ عبد القادر خمسين يوما. ونقل في موضع آخر عن الحافظ الضياء أنهما أقاما خمسين ليلة، ثم مات الشيخ فانتقلا عند أبي الفرج بن الجوزي ثم انتقلا إلى رباط الشيخ محمود النعال، واشتغلا على ابن المنّي. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (٢١/ ٤٤٥).

(٢) الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، المُفْتِي، شَيْخُ الحَنَابِلَة، نَاصِحُ الإِسْلاَمِ، أَبُو الفَتْحِ نَصْرُ بنُ فِتْيَانَ بنِ مَطَرِ ابْنِ المنِّيِّ النُّهْرُوَانِيُّ، الحَنْبَلِيُّ. وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْس مائة. تُوُفِّيَ فِي خَامِس رَمَضَان، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ١٣٨/٢١.

(٣) مُحَمَّد بْن عَبْد الواحد بْن أَحْمَد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْمَاعِيل، الحافظ الحُجّة الإِمَام ضياء الدّين، أَبُو عَبْد اللَّه السّعديّ، المقدسيّ، ثُمَّ الدمشقيّ الصّالحيّ، صاحب التَّصانيف النّافعة. توفي سنة ٦٤٣ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٤٧٢/١٤.

(٤) رُقَيَّةُ بنتُ الزّاهِد أحمد بن مُحَمَّد بن قُدامة، أخت الشيخ الموفَّق، أمّ الحافظ الضّياء، والمفتي شمس الدّين أحمد المعروف بالبخاريّ. قال الضّياء: كانت امرأةً صالحةً، تُنْكِرُ المنكرَ، يخافُها الرجالُ والنّساء، وتَفْصِل بين النّاسِ في القضايا. وكانت تاريخًا للمقادسة في المواليدِ والوَفياتِ. توفيت سنة ٦٢١ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٦٦٦/١٣.

(٥) قال الذهبي: يوسف بن قزغلى الواعظ المؤرخ شمس الدين، أبو المظفر، سبط ابن الجوزي. روى عن جده وطائفة، وألف كتاب مرآة الزمان، فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه بثقة فيما ينقله، بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض. وله مؤلف في ذلك. نسأل الله

وَذَكَر النَّاصِحُ ابْنِ الْحَنْبَلِيّ(١): أَنَّهُ حَجَّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ، وَرَجَعَ مَعَ وَفْدِ الْعِرَاقِ إِلَى بَغْدَادَ، وَأَقَامَ بِهَا سَنَةً، فَسَمِع دَرْسَ ابْنِ الْمَنِّيِّ، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا قَدْ دَخَلْتُ بَغْدَادَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، وَاشْتَغَلْنَا جَمِيعًا عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْمَنِّيِّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ وَاشْتَغَلَ بِتَصْنِيفِ كِتَابِ (الْمُغْنِي فِي شَرْحِ الْخِرَقِيِّ)، فَبَلَغَ الْأَمَلَ فِي إِتْمَامِهِ، وَهُوَ كِتَابٌ بَلِيغٌ فِي الْمَذْهَبِ، عَشْرُ مُجَلَّدَاتٍ، تَعِبَ عَلَيْه، وَأَجَادَ فِيهِ وَجَمَّلَ بِهِ الْمَذْهَبَ.

وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ وَانْتَفَعَ بِعِلْمِهِ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ، قَالَ: وَمَشَى عَلَى سَمْتِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ فِي الْخَيْرِ وَالْعِبَادَة، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الاشْتِغَالُ بِالْفِقْهِ وَالْعِلْمِ.

وَقَال سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيّ: كَانَ إمَامًا فِي فُنُونٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ -بَعْد أَخِيهِ أَبِي عُمَرَ والْعِمَادِ(٢)- أَزْهَدُ وَلَا أَوْرَعُ مِنْهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ، عَزُوفًا

العافية. مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق. ميزان الاعتدال ٤٧١/٤. وقزغلي قد تقرأ قزأوغلي. وقد ترجم للموفَّق في كتابه مرآة الزمان في ٢٦٥/٢٢.

(١) نَاصِحُ الدِّيْنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَجْمِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ ابنِ الحَنْبَلِيِّ الدِّمَشْقِيّ، الوَاعِظ، وتوفِّي سَنَةَ ٦٣٤هـ وَلَهُ ثَمَانُوْنَ سَنَةً. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٥٤/١٩.

(٢) إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الواحد بْن عَليّ بْن سُرور، الشَّيْخ العِماد المَقْدِسِيّ الحَنْبَلِيّ الزاهد القدوة أَبُو إِسْحَاق، أخو الحَافِظ عَبْد الغنيّ. ولد بجمّاعيل في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فهو أصغر من الحافظ بسنتين، وهاجر إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين، والبلاد حينئذٍ للفرنج، لعنهم الله، فيمن هاجر من المقادسة. قَالَ الضِّيَاء: وَكَانَ يكون في جامع دمشق من الفجْر إلى العِشاء لَا يخرج إِلَّا لِما لَا بُدّ لَهُ منه، يقرئ النَّاس القرآن، والعِلم، فَإِذَا لم يتفق لَهُ من يشتغل عَلَيْهِ، اشتغل بالصلاة. فسألت مُوَفَّق الدين عَنْهُ، فَقَالَ: كَانَ من خيار أصحابنا، وأعظمهم نفعًا، وأشدّهم وَرَعاً، وأكثرهم صَبراً عَلَى تعليم القرآن، والفقه. وَكَانَ داعيةً إلى السُّنة وتعلُّم العلم والدين. توفي سنة ٦١٤ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٣٩٥/١٣.

عَنْ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا هَيِّنًا لَيِّنًا مُتَوَاضِعًا، مُحِبًّا لِلْمَسَاكِين حَسَنَ الأَخْلاَقِ، جَوَادًا سَخِيًّا. مَنْ رَآهُ كَأَنَّهُ رَأَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ. وَكَأَنَّمَا النُّورُ يَخْرُجُ مِنْ وَجْهِهِ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، يَقْرَأَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ سُبُعًا مِنْ الْقُرْآنِ، وَلَا يُصَلِّي رَكْعَتَيْ السُّنَّةِ فِي الْغَالِبِ إِلَّا فِي بَيْتِهِ، اتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ، وَكَانَ يَحْضُرُ مجالسي دَائِمًا فِي جَامِعِ دِمَشْقَ وَقَاسِيُونَ.

وَقَالَ أَيْضًا: شَاهَدْتُ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي عُمَرَ، وَأَخِيهِ الْمُوَفَّق، وَنَسِيبِهِ الْعِمَادِ مَا نَرْوِيهِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْأَفْرَادِ، فَأَنْسَانِي حَالُهُمْ أَهْلِي وَأَوْطَانِي، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِمْ عَلَى نِيَّةِ الْإِقَامَةِ، عَسَى أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ.

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: كَانَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ إِمَامَ الْحَنَابِلَةِ بِالْجَامِعِ. وَكَانَ ثِقَةً حُجَّةً نَبِيلًا، غَزِيرَ الْفَضْلِ، كَامِلَ الْعَقْلِ، شَدِيدٌ التَّثَبُّت، دَائِمُ السُّكُونِ، حَسَنَ السَّمْتِ، نَزِهًا وَرِعًا عَابِدًا عَلَى قَانُونِ السَّلَف، عَلَى وَجْهِهِ النُّورُ، وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ وَالْهَيْبَةُ، يَنْتَفِعُ الرَّجُلُ بِرُؤْيَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْمَعَ كَلَامُهُ، صَنَّفَ التَّصَانِيفَ الْمَلِيحَةَ فِي الْمَذْهَبِ وَالْخِلَافِ، وَقَصَدَهُ التَّلَامِذَةُ وَالْأَصْحَابُ، وَسَارَ اسْمُهُ فِي الْبِلَادِ، وَاشْتُهِرَ ذِكْرُهُ. وَكَانَ حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ، وَلَهُ يَدٌ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَاجِبِ الْحَافِظُ فِي مُعْجَمِهِ[1]: هُوَ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ، وَمُفْتِي الْأُمَّة. خَصَّهُ اللَّهُ بِالْفَضْلِ الْوَافِرِ، وَالْخَاطِرِ الْمَاطِرِ، وَالْعِلْمِ الْكَامِلِ. طَنَّتْ

---

(١) المُحَدِّثُ البَارِعُ، مُفِيْدُ الطَّلَبَةِ، عِزُّ الدِّيْنِ عُمَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مَنْصُوْرٍ الأَمِيْنِيُّ. قال الذهبي: قَرَأْتُ بِخَطِّ الحَافِظِ الضِّيَاءِ: وَفِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلاَثِيْنَ وَسِتِّ مائَةٍ تُوُفِّيَ صَاحِبُنَا الشَّابُّ

فِي ذِكْرِهِ الْأَمْصَارُ، وَضَنَّتْ بِمِثْلِهِ الْأَعْصَارُ. قَدْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ الْحَقَائِقِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. فَأَمَّا الْحَدِيثُ: فَهُوَ سَابِقُ فُرْسَانِهِ. وَأَمَّا الْفِقْهُ: فَهُوَ فَارِسُ مَيْدَانِهِ، أَعْرَفُ النَّاسِ بِالْفُتْيَا. وَلَهُ الْمُؤْلِفَاتُ الْغَزِيرَةُ. وَمَا أَظُنُّ الزَّمَانَ يَسْمَحُ بِمِثْلِهِ، مُتَوَاضِعٌ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، حَسَنُ الِاعْتِقَادِ، ذُو أَنَاةٍ وَحِلْمٍ وَوَقَارٍ.

وَكَانَ مَجْلِسُهُ عَامِرًا بِالْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ. وَصَارَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ يَقْصِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ. وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ دَائِمَ التَّهَجُّدِ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، وَلَمْ يَرَ مِثْلَ نَفْسِهِ.

وَقَالَ أَبُو شَامَةَ(١): كَانَ شَيْخُ الْحَنَابِلَة مُوَفَّقُ الدِّينِ إِمَامًا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الدِّينِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. صَنَّفَ كُتُبًا حِسَانًا فِي الْفِقْهِ وَغَيْرِهِ، عَارِفًا بِمَعَانِي الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ. سَمِعْتُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ. وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ أَبِي عُمَرَ هُوَ الَّذِي يَؤُمُّ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ، وَيَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذَا حَضَرَ. فَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عُمَرَ(٢) هُوَ الْخَطِيبُ

الحَافِظُ ابْنُ الحَاجِبِ. وهو دون الأربعين. قَالَ: وَكَانَ دَيِّناً، خَيِّراً، ثَبْتاً، مُتَيَقِّظاً. وهو ممن سمع من الموفق. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ٢٢/٣٧٠، تاريخ الإسلام، ت بشار ١٣/٩٣٠.

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ (الذيل على الروضتين) لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة. توفي سنة ٦٦٥هـ. نشر دار الكتب العلمية مع الروضتين، تعليق: إبراهيم شمس الدين ٥/٢٠٦.

(٢) عبد الله بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد ابن قدامة، المقدسي الأصل، الصالحي، شرف الدين أبو محمد، وأبو بكر أيضًا، الحنبلي، الخطيب. قال الحافظ الضِّياء:

وَالْإِمَامُ. وَأَمَّا بِمِحْرَابِ الْحَنَابِلَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ فَيُصَلِّي فِيهِ الْمُوَفَّقُ إِذَا كَانَ حَاضِرًا فِي الْبَلَدِ، وَإِذَا مَضَى إِلَى الْجَبَلِ صَلَّى الْعِمَادُ أَخُو عَبْدِ الْغَنِيِّ، وَبَعْدَ مَوْتِ الْعِمَادِ: كَانَ يُصَلِّي فِيهِ أَبُو سُلَيْمَانَ بْنُ الْحَافِظِ عَبْدُ الْغَنِيِّ، مَا لَمْ يَحْضُرْ الْمُوَفَّقُ وَكَانَ بَيْنَ الْعِشَائَيْنِ يَتَنَفَّلُ حِذَاءَ الْمِحْرَابِ. وَجَاءَه مَرَّةً الْمَلِكُ الْعَزِيزُ بْنُ الْعَادِلِ يَزُورُه، فَصَادَفَهُ يُصَلِّي، فَجَلَس بِالْقُرْبِ مِنْهُ إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ. ثُمَّ اجْتَمَعَ بِهِ وَلَمْ يَتَجَوَّزْ فِي صَلَاتِهِ. وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ يَمْضِي إِلَى بَيْتِهِ بِالرَّصِيفِ، وَمَعَهُ مِنْ فُقَرَاءِ الْحَلْقَةُ مَنْ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيُقَدِّمُ لَهُمْ مَا تَيَسَّرَ يَأْكُلُونَهُ مَعَهُ.

وَمِنْ أَظْرَفِ مَا حُكِيَ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ فِي عِمَامَتِهِ وَرَقَةً مَصْرُورَةً، فِيهَا رَمْلٌ يُرَمِّلُ بِهِ مَا يَكْتُبُهُ لِلنَّاسِ[1] مِنَ الْفَتَاوِي وَالإِجَازَاتِ وَغَيْرِهَا. فَاتَّفَقَ لَيْلَةً خُطِفَتْ عِمَامَتُهُ، فَقَالَ لِخَاطِفِهَا: يَا أَخِي خُذْ مِنَ الْعِمَامَةِ الْوَرَقَةَ الْمَصْرُورَةَ بِمَا فِيهَا وَرُدَّ الْعِمَامَةَ أُغَطِّي بِهَا رَأْسِي، وَأَنْتَ فِي أَوْسَعِ الْحِلِّ مِمَّا فِي الْوَرَقَةِ. فَظَنَّ الْخَاطِفُ أَنَّهَا فِضَّةٌ وَرَآهَا ثَقِيلَةً، فَأَخَذَهَا وَرَدَّ الْعِمَامَةَ، وَكَانَتْ صَغِيرَةً عَتِيقَةً، فَرَأَى أَخْذَ الْوَرَقَةِ خَيْرًا مِنْهَا بِدَرَجَاتٍ. فَخَلَّصَ الشَّيْخُ عِمَامَتَهُ بِهَذَا الْوَجْهِ اللَّطِيفِ.

كان فقيهًا، فاضلًا دَيِّنًا، ثِقَةً، وكتبَ عنهُ مع تقدمه. توفي سنة ٦٤٣هـ، ودُفِنَ بسفح قاسِيون. تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، لصالح النجدي (٢/ ٨١٨).

(١) يرمِّل: أي يُجَفِّف الحِبْر بوضع الرَّمْل عليه.

وَبَلَغَنِي مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ الْإِمَامِ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ[١] -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّهُ قَالَ: مَا دَخَلَ الشَّامَ - بَعْدَ الْأَوْزَاعِيّ - أَفْقَهَ مِنَ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ.

وَقَدْ أَفْرَدَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ، سِيرَةَ الشَّيْخِ فِي جُزْأَيْنِ، وَكَذَلِك أَفْرَدَهَا الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ.

قَالَ الضِّيَاءُ: كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ إمَامًا فِي الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ، إمَامًا فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمُشْكَلَاتِهِ، إمَامًا فِي الْفِقْهِ بَلْ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِيهِ، إمَامًا فِي عِلْمِ الْخِلَافِ، أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي الْفَرَائِضِ، إمَامًا فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، إمَامًا فِي النَّحْوِ، إمَامًا فِي الْحِسَابِ، إمَامًا فِي النُّجُومِ السَّيَّارَةِ وَالْمَنَازِلِ. قَال: وَلَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ قَالَ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْمَنِّيِّ: اسْكُنْ هُنَا؛ فَإِنَّ بَغْدَادَ مُفْتَقِرَةٌ إلَيْكَ، وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ بَغْدَادَ وَلَا تَخَلِّفَ فِيهَا مِثْلَكَ.

وَكَانَ شَيْخُنَا الْعِمَادُ يُعَظِّمُ الشَّيْخَ الْمُوَفَّقَ تَعْظِيمًا كَثِيرًا، وَيَدْعُو لَهُ، وَيَقْعُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا يَقْعُدُ الْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْعَالِمِ.

---

(١) ابن تيمية الشيخ الإمام العلَّامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام. كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثمائة مجلد. تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط العلمية، ت عميرات ١٩٢/٤.

وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ الْمُفْتِيَ شَيْخَنَا أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مَعَالِي بْنِ غَنِيمَةَ(١) بِبَغْدَادَ يَقُولُ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا فِي زَمَانِي أَدْرَكَ دَرَجَةَ الِاجْتِهَادِ إِلَّا الْمُوَفَّقَ.

وَسَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الصَّلَاحِ(٢) الْمُفْتِيَ يَقُول: مَا رَأَيْت مِثْلَ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْيُونِينِيُّ(٣): مَا اعْتَقِدَ أَنَّ شَخْصًا مِمَّنْ رَأَيْتُهُ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْكَمَالِ فِي الْعُلُومِ وَالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْكَمَالُ سِوَاهُ. فَإِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ كَامِلًا فِي صُورَتِهِ وَمَعْنَاهُ مَنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْحِلْمِ وَالسُّؤْدُدِ وَالْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَة، وَالْأُمُورِ الَّتِي مَا رَأَيْتُهَا كَمُلَتْ فِي غَيْرِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ كَرَمِ أَخْلَاقِهِ، وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ، وَوُفُورِ حِلْمِهِ، وَكَثْرَةِ عِلْمِهِ وَغَزِيرِ فِطْنَتِهِ، وَكَمَالِ مُرُوءَتِهِ، وَكَثْرَةِ حَيَائِهِ، وَدَوَامِ بِشْرِهِ، وَعُزُوفِ نَفْسِهِ عَنْ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَالْمَنَاصِبِ وَأَرْبَابِهَا: مَا قَدْ

---

(١) مُحَمَّد بن معالي بن غَنِيمة، أَبُو بَكْر البَغْدَادِيّ المأمُونيّ المُقرئ الفقيه، المعروف بابن الحَلاويّ، الحَنْبَلِيّ. من كبار أصحاب أبي الفتح ابن المَنِّي، كَانَ إمامًا، مُفْتيًا، متعبدًا، ورِعًا، صالحًا، خيرًا، عارفًا بالمذهب. توفي سنة ٦١١ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٣٢٧/١٣.

(٢) ابْنُ الصَّلاَحِ الإِمَامُ، الحَافِظُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، تَقِيُّ الدِّيْنِ، أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ ابْنُ المُفْتِي صَلاَحِ الدِّيْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُثْمَانَ بنِ مُوْسَى الكُرْدِيُّ، الشَّهْرُزُوْرِيُّ، المَوْصِلِيُّ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ. توفي سنة ٦٤٣هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة ١٤٠/٢٣.

(٣) محمد بن أبي الحسين أحمد بْن عَبْد الله بْن عيسى بْن أبي الرجال أحمد بْن عليّ الشَّيْخ الْفَقِيهُ، أبو عَبْد الله اليونيني، شيخ الإسلام الحَنْبليّ، الحافظ. المتوفى سنة ٦٥٨ هـ. والصحيح في اسمه محمد وليس عبد الله كما في أصول الكتاب. ذكره محققه العثيمين. قال الذهبي: واشتغل بدمشق عَلَى الشَّيْخ الموفَّق في المُذْهب، وعلى الحافظ عَبْد الغني فِي الحديث، وسمع منهما. تاريخ الإسلام، ت بشار ٨٨٩/١٤-٨٩٠.

عَجزَ عَنْهُ كِبَارُ الْأَوْلِيَاءِ. فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ»(١). فَقَدْ ثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ إِلْهَامَ الذِّكْرِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ مَا يَتَعَدَّى نَفْعُهُ إِلَى الْعِبَادِ، وَهُوَ تَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ، وَأَعْظَمُ مِنَ ذَلِكَ وَأَحْسَنُ: مَا كَانَ جِبِلَّةً وَطَبْعًا، كَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ وَالْعَقْلِ وَالْحَيَاءِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ جَبَلَهُ عَلَى خُلُقٍ شَرِيفٍ، وَأَفْرِغَ عَلَيْه الْمَكَارِمَ إِفْرَاغًا، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ النِّعَمَ، وَلَطَفَ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ. قَال: وَكَانَ لَا يُنَاظِر أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَتَبَسَّمُ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: هَذَا الشَّيْخُ يَقْتُل خَصْمَهُ بِتَبَسُّمِهِ.

قَالَ: وَأَقَامَ مُدَّةً يَعْمَلُ حَلْقَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، يُنَاظِر فِيهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ. ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ. وَكَان يَشْتَغِل عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بُكْرَةً إِلَى ارْتِفَاع النَّهَارِ.

ثُمَّ يُقْرَأُ عَلَيْهِ بَعْدَ الظُّهْرِ، إِمَّا مِنَ الْحَدِيثِ أَوْ مِنْ تَصَانِيفِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَرُبَّمَا قُرِئَ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَهُوَ يَتَعَشَّى. وَكَانَ لَا يَرَى لِأَحَدٍ ضَجَرًا. وَرُبَّمَا تَضَرَّر فِي نَفْسِهِ وَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ شَيْئًا.

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ كَرَامَاتِهِ

---

(١) جزء من حديث مرفوع عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، رواه البيهقي في السنن الصغير ٨٣٧، بلفظ: «... وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُمْ ذِكْرَهُ». ورواه والبزار في مسند ٣٨٩٠، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ٩٨٧، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١٥٨٧، وغيرهم. وهو ضعيف، فيه الصلت بن سالم: ضعيف الحديث، وموسى بن يعقوب: صدوق سيء الحفظ.

قَالَ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيّ: حَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ فَضْلٍ الأَعْنَاكِيُّ، قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ لِي قُدْرَةٌ لَبَنَيْتُ لِلْمُوَفَّقِ مَدْرَسَةً، وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ: فَجِئْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: إِذَا نَوَى الشَّخْصُ نِيَّةً كُتِبَ لَهُ أَجْرُهَا.

وَحَكَى أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَمْدَانَ الْجَرَائِحِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أُبْغِضُ الْحَنَابِلَةَ، لِمَا شُنِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءِ الِاعْتِقَادِ. فَمَرِضْتُ مَرَضًا شَنَّجَ أَعْضَائِي، وَأَقَمْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا لَا أَتَحَرَّك، وَتَمَنَّيْتُ الْمَوْتَ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتَ الْعِشَاءِ جَاءَنِي الْمُوَفَّقُ، وَقَرَأَ عَلِيَّ آيَاتٍ، وَقَال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] وَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِي فَأَحْسَسْتُ بِالْعَافِيَةِ، وَقَامَ. فَقُلْتُ: يَا جَارِيَةُ، افْتَحِي لَهُ الْبَابُ. فَقَالَ: أَنَا أَرُوحُ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ. وَغَابَ عَنْ عَيْنَيَّ، فَقُمْتُ مِنْ سَاعَتِي إِلَى بَيْتِ الْوُضُوءِ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ دَخَلْتُ الْجَامِعَ، فَصَلَّيْتُ الْفَجْرَ خَلْفَ الْمُوَفَّقِ، وَصَافَحْتُهُ، فَعَصَرَ يَدَيْ وَقَالَ: احْذَرْ أَنْ تَقُولَ شَيْئًا. فَقُلْتُ: أَقُولُ وَأَقُولُ.

وَقَال قَوَّامُ جَامِعِ دِمَشْقَ: كَانَ لَيْلَةً يَبِيتُ فِي الْجَامِعِ، فَتُفْتَحُ لَهُ الْأَبْوَابُ فَيَخْرُجُ وَيَعُودُ، فَتُغْلَقُ عَلَى حَالِهَا(١).

---

(١) لا يقبل مثل هذا الكلام من المجاهيل.

وَحَدَّث الْعَفِيفُ كَتَائِبُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَهْدِيّ بْنِ البَانِيَاسِيّ[1] - بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ بِأَيَّامٍ - قَالَ: رَأَيْت الشَّيْخَ الْمُوَفَّقُ عَلَى حَافَّةِ النَّهْرِ يَتَوَضَّأ. فَلَمَّا تَوَضَّأَ أَخَذَ قُبْقَابَهُ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، ثُمَّ لَبِسَ الْقُبْقَابَ وَصَعِدَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ -يَعْنِي مَدْرَسَةَ أَخِيهِ أَبِي عُمَرَ- ثُمَّ حَلَفَ كَتَائِبُ بِاَللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ، وَمَالِي فِي الْكَذِبِ حَاجَةٌ، وَكَتَمْتُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ. فَقِيلَ لَهُ: هَلْ رَآكَ؟ قَالَ: لَا. وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ أَحَدٌ، وَذَكَرَ وَقْتَ الظُّهْرِ. فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَتْ رِجْلَاه تَغُوصُ فِي الْمَاءِ؟ قَالَ: لَا، كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى وِطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُ: سَمِعْتُ رَفِيقَنَا أَبَا طَاهِرٍ أَحْمَدَ الدُّرَيْبِيُّ سَمِعْتُ الشَّيْخَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ حَاتِمٍ - وَزُرْتُ مَعَهُ قَبْرَ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ - فَقَالَ: سَمِعْتُ الْفَقِيهَ مُحَمَّدَ الْيُونِينِيَّ شَيْخَنَا يَقُولُ: رَأَيْتُ الشَّيْخَ الْمُوَفَّقَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ.

ذِكرُ تصَانِيفِهِ

صَنَّفَ الشَّيْخُ الْمُوَفَّقُ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّصَانِيفَ الْكَثِيرَةَ الْحَسَنَةَ فِي الْمَذْهَبِ، فُرُوعًا وَأُصُولًا. وَفِي الْحَدِيثِ، وَاللُّغَةِ، وَالزُّهْدِ، وَالرَّقَائِقِ. وَتَصَانِيفُه فِي أُصُولِ الدِّينِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، أَكْثَرُهَا عَلَى طَرِيقَةِ أَئِمَّةِ الْمُحَدِّثِينَ، مَشْحُونَةٌ بِالْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ، وَبِالْأَسَانِيدِ، كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ

(١) كتائبُ بْن أَحْمَد بْن مَهْديّ بْن مُحَمَّد بْن عَلِيّ، أَبُو أَحْمَد البانياسيُّ ثمّ الصالحيُّ. المتوفى سنة ٦٣٤ هـ. وقد ذكر هذه الحكاية الذهبي في تاريخ الإسلام. ينظر تاريخ الإسلام، ت بشار ١٤/ ١٥٢.

وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ. وَلَمْ يَكُنْ يَرَى الْخَوْضَ مَعَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي دَقَائِقِ الْكَلَامِ، وَلَوْ كَانَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ. وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَحْمَدَ وَالْمُتَقَدِّمِينَ. وَكَانَ كَثِيرَ الْمُتَابَعَةِ لِلْمَنْقُولِ فِي بَابِ الْأُصُولِ وَغَيْرِهِ، لَا يَرَى إِطْلَاقَ مَا لَمْ يُؤْثَرْ مِنَ الْعِبَارَاتِ، وَيَأْمُرُ بِالْإِقْرَارِ وَالْإِمْرَارِ لِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ، مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ، وَلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

فَمِنْ تَصَانِيفِهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ "الْبُرْهَانُ فِي مَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ" جُزْءٌ، "جَوَابُ مَسْأَلَةٍ وَرَدَتْ مِنْ صَرْخَدَ[1] فِي الْقُرْآنِ" جُزْءٌ، "الاعْتِقَادُ" جُزْءٌ، "مَسْأَلَةُ الْعُلُوِّ" جُزْآنِ، "ذَمُّ التَّأْوِيلِ" جُزْءٌ، "كِتَابُ الْقَدَرِ" جُزْآنِ، "فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ" جُزْآنِ، وَأَظُنُّهُ "مِنْهَاجُ الْقَاصِدِينَ فِي فَضْلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ"، "رِسَالَةٌ إِلَى الشَّيْخِ فَخْرِ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِي تَخْلِيدِ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي النَّارِ"، "مَسْأَلَةٌ فِي تَحْرِيمِ النَّظَرِ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكَلَامِ".

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ فِي الْحَدِيثِ "مُخْتَصَرُ الْعِلَلِ" لِلْخَلَّالِ، مُجَلَّدٌ ضَخْمٌ، "مَشْيَخَةُ شُيُوخِهِ" جُزْءٌ. وَأَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ خَرَّجَهَا.

وَمَنْ تَصَانِيفِهِ فِي الْفِقْهِ "الْمُغْنِي فِي الْفِقْهِ" عَشْرُ مُجَلَّدَاتٍ، "الْكَافِي فِي الْفِقْهِ" أَرْبَعُ مُجَلَّدَاتٍ، "الْمُقْنِعُ فِي الْفِقْهِ" مُجَلَّدٌ، "مُخْتَصَرُ الْهِدَايَةِ" مُجَلَّدٌ، "الْعُمْدَةُ" مُجَلَّدٌ صَغِيرٌ، "مَنَاسِكُ الْحَجِّ" جُزْءٌ "ذَمُّ الْوَسْوَاسِ" جُزْءٌ. وَفَتَاوَى وَمَسَائِلُ مَنْثُورَةٌ، وَرَسَائِلُ شَتَّى كَثِيرَةٌ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ "الرَّوْضَةُ" مُجَلَّدٌ.

---

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. معجم البلدان ٣/٤٠١.

وَلَهُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَنْسَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ''قُنْعَةُ الْأَرِيبِ فِي الْغَرِيبِ'' مُجَلَّدٌ صَغِيرٌ ''التَّدِيينِ فِي نَسَبِ الْقُرَشِيِّينَ'' مُجَلَّدٌ، ''الاسْتِبْصَارِ فِي نَسَبِ الْأَنْصَارِ'' مُجَلَّدٌ.

وَلَهُ فِي الْفَضَائِلِ وَالزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ''كِتَابُ التَّوَّابِينَ'' جُزْآنِ ''كِتَابُ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ''، جُزْآنِ ''كِتَابُ الرِّقَّةِ وَالْبُكَاءِ'' جُزْآنِ ''فَضَائِلُ عَاشُورَاءَ'' جُزْءٌ ''فَضَائِلُ الْعَشْرِ'' جُزْءٌ.

وَانْتَفَعَ بِتَصَانِيفِهِ الْمُسْلِمُونَ عُمُومًا، وَأَهْلُ الْمَذْهَبِ خُصُوصًا. وَانْتَشَرَتْ وَاشْتُهِرَتْ بِحُسْنِ قَصْدِهِ وَإِخْلَاصِهِ فِي تَصْنِيفِهَا. وَلَا سِيَّمَا كِتَابُ (الْمُغْنِي) فَإِنَّهُ عَظُمَ النَّفْعُ بِهِ، وَأُكْثِرَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ.

قَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ: رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي النَّوْمِ وَأَلْقَى عَلِيَّ مَسْأَلَةً فِي الْفِقْهِ. فَقُلْتُ: هَذِهِ فِي (الْخِرَقِيِّ). فَقَالَ: مَا قَصَّرَ صَاحِبُكُمْ الْمُوَفَّقُ فِي شَرْحِ (الْخِرَقِيِّ).

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ عَلَاءَ الدِّينِ الْمَقْدِسِيَّ - قُلْتُ: وَقَدْ أَجَازَ لِي الْمَقْدِسِيُّ هَذَا - قَال: سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَالَ الذَّهَبِيُّ: وَأَظُنُّنِي سَمِعْتُ مِنْ شَيْخِنَا ابْنِ تَيْمِيَّةَ - يَقُولُ: قَالَ لِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَزَارِيُّ(١): كَانَ الشَّيْخُ

---

(١) عَبْد الرَّحْمَن بْن إِبْرَاهِيم بْن سباع بْن ضياء، العلامة، الإِمَام، مفتي الإِسْلَام، فقيه الشّام، تاج الدّين، أَبُو مُحَمَّد الفَزَاريّ، البدْريّ، الْمَصْرِيّ الأصل، الدّمشقيّ، الشافعيّ، الفِركاح. المتوفى سنة ٦٩٠ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ١٥/٦٦٠.

عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ[1] شَيْخُنَا يُرْسِلُنِي أَسْتَعِيرُ لَهُ (الْمُحَلَّى) و(الْمُجَلَّى) مِنِ ابْنِ عَرَبِيٍّ، وَقَالَ: قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ: مَا رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الْإِسْلَامِ فِي الْعِلْمِ مِثْلَ (الْمُحَلَّى) وَ(الْمُجَلَّي)[2]، وَكِتَابِ (الْمُغْنِي) لِلشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ بْنِ قُدَامَةَ فِي جَوْدَتِهِمَا وَتَحْقِيقِ مَا فِيهَا.

وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: لَمْ تَطِبْ نَفْسِي بِالْفُتْيَا حَتَّى صَارَ عِنْدِي نُسْخَةُ (الْمُغْنِي).

وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُ النَّاصِحِ ابْنِ الْحَنْبَلِيِّ فِي مَدْحِ (الْمُغْنِي)، مَعَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُسَامِي الشَّيْخَ فِي زَمَانِهِ.

وَلِلشَّيْخ يَحْيَى الصَّرْصَرِيِّ فِي مَدْحِ الشَّيْخِ وَكُتُبِهِ، فِي جُمْلَةِ الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ اللَّامِيَّةِ:

وَفِي عَصْرِنَا كَانَ الْمُوَفَّقُ حُجَّةً ... عَلَى فِقْهِهِ ثَبْتُ الْأُصُولِ مُحَوَّلِي
كَفَى الْخَلْقَ بِالْكَافِي، وَأَقْنَعَ طَالِبًا ... بِمُقْنِعِ فِقْهٍ عَنْ كِتَابٍ مُطَوَّلِ
وَأَغْنَى بِمُغْنِى الْفِقْهِ مَنْ كَانَ بَاحِثًا ... وَعُمْدَتُهُ مَنْ يَعْتَمِدْهَا يُحَصِّلِ
وَرَوْضَتُهُ ذَاتُ الْأُصُولِ كَرَوْضَةٍ ... أَمَاسَتْ بِهَا الْأَزْهَارُ أَنْفَاسَ شَمْأَلِ
تَدُلُّ عَلَى الْمَنْطُوقِ أَوْفَى دَلَالَةٍ ... وَتَحْمِلُ فِي الْمَفْهُومِ أَحْسَنَ

---

(١) عَبْد العزيز بْن عَبْد السلام بْن أبي القاسم بْن الحسن، شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام، عز الدين، أبو محمد السُّلَميّ، الدّمشقيّ، الشّافعيّ. المتوفى سنة ٦٦٠ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار ٩٣٣/١٤.

(٢) (المحلَّى) و(المجلَّى) كلاهما لابن حزم الظاهري الإمام المشهور.

وَلِلشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ نَظْمٌ كَثِيرٌ حَسَنٌ وَقِيل: إِنَّ لَهُ قَصِيدَةً فِي عَوِيصِ اللُّغَةِ طَوِيلَةً، وَلَهُ مُقَطَّعَاتٌ مِن الشِّعْرِ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ:

أَتغْفَلُ يَا ابْنَ أَحْمَدَ وَالْمَنَايَا شَوَارِعُ تَخْتَرِمَنَّكَ عَنْ قَرِيبِ
أَغَرَّكَ أَنْ تَخَطَّتْك الرَّزَايَا فَكَمْ لِلْمَوْتِ مِنْ سَهْمٍ
كُؤُوسُ الْمَوْتِ دَائِرَةٌ عَلَيْنَا وَمَا لِلْمَرْءِ بُدٌّ مِنْ نَصِيبِ
إِلَى كَمْ تَجْعَلُ التَّسْوِيفَ دَأْبًا أَمَا يَكْفِيكَ إِنْذَارُ الْمَشِيبِ؟
أَمَا يَكْفِيك أَنَّكَ كُلَّ حِينٍ تَمُرُّ بِغَيْرِ خِلٍّ أَوْ حَبِيبٍ؟
كَأَنَّكَ قَدْ لَحِقْتَ بِهِمْ قَرِيبًا وَلَا يُغْنِيكَ إِفْرَاطُ النَّحِيبِ

قَالَ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيّ: وَأَنْشَدَنِي الْمُوَفَّق لِنَفْسِهِ:

أَبْعَدَ بَيَاضِ الشَّعْرِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سِوَى الْقَبْرِ؟ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ
يُخَبِّرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ وَشِيكًا، وَيَنْعَانِي إِلَيَّ، فَيَصْدُقُ
يُخَرَّقُ عُمْرِي كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَهَلْ مُسْتَطِيعٌ رَتْقَ مَا يَتَخَرَّقُ
كَأَنِّي بِجِسْمِي فَوْقَ نَعْشِي مُمَدَّدًا فَمِنْ سَاكِتٍ أَوْ مُعْوِلٍ يَتَحَرَّقُ
إِذَا سُئِلُوا عَنِّي أَجَابُوا وَأَعْوَلُوا وَأَدْمُعُهُمْ تَنْهَلُّ: هَذَا الْمُوَفَّقُ
وَغُيِّبْتُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ وَأُوْدِعْتُ لَحْدًا فَوْقَهُ الصَّخْرُ
وَيَحْثُو عَلَيَّ التُّرْبَ أَوْثَقُ صَاحِبٍ وَيُسْلِمُنِي لِلْقَبْرِ مَنْ هُوَ مُشْفِقُ
فَيَا رَبِّ كُنْ لِي مُؤْنِسًا يَوْمَ فَإِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَهُ لَمُصَدِّقُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِّي إِلَى اللهِ صَائِرٌ وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبَرُّ وَأَرْفَقُ

قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ:

لَا تَجْلِسَنَّ بِبَابٍ مَنْ ... يَأْبَى عَلَيْكَ دُخُولَ دَارِهْ

وَتَقُولُ حَاجَاتِي إِلَيـ ... ـهِ يَعُوقُهَا إِنْ لَمْ أُدَارِهْ

وَاتْرُكْهُ وَاقْصِدْ رَبَّهَا ... تُقْضَى وَرَبُّ الدَّارِ كَارِهْ

تَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ مُوَفَّقِ الدِّينِ خَلْقٌ كَثِيرٌ(١). مِنْهُمْ ابْنُ أَخِيهِ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عُمَرَ(٢)، والْمَرَاتِبِيُّ(٣).

---

(١) ذكر محققا (المغني) تلاميذه مرتبين على حروف العجم، وعددهم ٥٢ تلميذًا، ينظر مقدمة تحقيق المغني ص ١٨-٢٦.

(٢) عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن محمد بن قُدَامة، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، شمس الدّين، أَبُو مُحَمَّد وأبو الفرج، ابن القُدوة الشّيْخ أَبِي عمر، المقدسيّ، الْجَمَّاعيليّ، ثمّ الصّالحيّ، الحنبليّ، الخطيب، الحاكم. ابن أخي الموفق. وصاحب الشرح الكبير على المقنع لعمه، توفي سنة ٦٨٢ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار (١٥/ ٤٦٩).

(٣) مُحَمَّد بْن محمود بْن عَبْد المُنْعِم، الإِمَام تقيُّ الدّين المراتبيَّ، الحنبليّ. كَانَ فقيهًا إمامًا بارعًا فِي مَذْهَبِهِ، ذا فنون. توفي سنة ٦٤٤ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار (١٤/ ٥٠٧).

وَسَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ خَلَائِقُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْحُفَّاظِ وَغَيْرِهِم. وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ الدُّبَيْثِيِّ(١)، وَالضِّيَاءُ(٢)، وَابْنُ خَلِيلٍ(٣)، وَالْمُنْذِرِيُّ(٤).

وَحَدَّثَ بِبَغْدَادَ، وَسَمِعَ مِنْهُ بِهَا رَفِيقُهِ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ ثَابِتٍ الْخَيَّاطُ الْمُقْرِئُ(٥) سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

---

(١) الإِمَامُ، العَالِمُ الثِّقَةُ، الحَافِظُ، شَيْخُ القُرَّاءِ، حُجَّةُ المُحَدِّثِيْنَ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ ابنُ أَبِي المَعَالِي سَعِيْدِ بنِ يَحْيَى بنِ عَلِيِّ بنِ حَجَّاجٍ الدُّبَيْثِيُّ، ثُمَّ الوَاسِطِيُّ، الشَّافِعِيُّ، المُعَدَّلُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. توفي سنة ٦٣٧هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (٢٣/ ٦٨).

(٢) الضِّيَاءُ المَقْدِسِيُّ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بنِ مَنْصُوْرٍ، الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، القُدْوَةُ، المُحَقِّقُ، المُجَوِّدُ، الحُجَّةُ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ، ضِيَاءُ الدِّيْنِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ السَّعْدِيُّ، المَقْدِسِيُّ، الجَمَّاعِيْلِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الصَّالِحِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ وَالرِّحْلَةِ الوَاسِعَةِ. توفي سنة ٦٤٣ هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (٢٣/ ١٢٦).

(٣) يُوْسُفُ بنُ خَلِيْلِ بنِ قَرَاجَا عَبْدِ اللهِ، أَبُو الحَجَّاجِ الدِّمَشْقِيُّ، الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، الصَّادِقُ، الرَّحَّال، النَّقَّال، شَيْخُ المُحَدِّثِيْنَ، راوِيَة الإِسْلاَم، أَبُو الحَجَّاجِ شَمْس الدِّيْنِ الدِّمَشْقِيّ، الأَدَمِي، الإِسكَاف، نَزِيْلُ حَلَب وَشيخُهَا. توفي سنة ٦٤٨ هـ. سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (٢٣/ ١٥١).

(٤) عَبْد العظيم بْن عَبْد القويّ بْن عَبْد اللَّه بْن سلامة بْن سَعْد بْن سَعِيد، الحافظ الإمام، زكي الدين، أَبُو محمد المُنْذِري، الشّامي، ثمّ الْمَصْرِيّ، الشّافعيّ. المتوفى سنة ٦٥٦ هـ. تاريخ الإسلام، ت بشار (١٤/ ٨٢٦).

(٥) عبد العزيز بن ثابت بن طاهر البغدادي المأموني الشمعي الخيَّاط المقرىء، الفقيه الزاهد أَبُو منصور. ويلقب تاج الدين: قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير من أبي المكارم البادرائي، وأبي الحسن بن يوسف، وابن الخشَّاب، وشُهْدَة، وأكثر عن المتأخرين بعدهم. ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٠).

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِمَنْزِلِهِ بِدِمَشْقَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ، وَحُمِلَ إِلَى سَفْحِ قَاسِيُونَ. فَدُفِنَ بِهِ. وَكَانَ لَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ. امْتَدّ النَّاسُ فِي طُرُقِ الْجَبَلِ فَمَلَؤُوهَا.

قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيّ: حَكَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ الْكَاتِبُ الْبَغْدَادِيُّ قَالَ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ كَأَنَّ مُصْحَفَ عُثْمَانَ قَدْ رُفِعَ مِنْ جَامِعِ دِمَشْقَ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَلَحِقَنِي غَمٌّ شَدِيدٌ، فَتُوُفِّي الْمُوَفَّقُ يَوْمَ الْعِيدِ.

قَالَ: وَرَأَى أَحْمَدُ بْنُ سَعْدٍ - أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ الْكَاتِبُ الْمَقْدِسِيُّ، وَكَانَ أَحْمَدُ هَذَا مِنْ الصَّالِحِينَ - قَالَ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْعِيدِ مَلائِكَةً يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ جُمْلَةً، وَقَائِلٌ يَقُولُ: انْزِلُوا بِالنَّوْبَةِ. فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: يَنْقُلُونَ رُوْحَ الْمُوَفَّقِ الطَّيِّبَةَ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ.

قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ: رَأَيْتُ كَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ، وَقُبِرَ بِقَاسِيُونَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ. قَالَ: وَكُنَّا بِجَبَلِ بَنِي هِلَالٍ. فَرَأَيْنَا عَلَى قَاسِيُونَ لَيْلَةَ الْعِيدِ ضَوْءًا عَظِيمًا، فَظَنَنَّا أَنَّ دِمَشْقَ قَدْ احْتَرَقَتْ. وَخَرَجَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَصَلَ الْخَبَرُ بِوَفَاةِ الْمُوَفَّقِ يَوْمَ الْعِيدِ. وَدُفِن بِقَاسِيُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَالَ سِبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيّ: وَكَانَ لَهُ أَوْلَادٌ: أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدٌ، وَأَبُو الْعِزِّ يَحْيَى، وَأَبُو الْمَجْدِ عِيسَى. مَاتُوا كُلُّهُمْ فِي حَيَاتِهِ. وَلَم أَدْرِكْ مِنْهُمْ غَيْرَ عِيسَى، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَهُ بَنَاتٌ.

قَالَ: وَلَمْ يُعْقِبْ مِنْ وَلَدِ الْمُوَفَّقِ سِوَى عِيسَى، خَلَّفَ وَلَدَيْنِ صَالِحَيْنِ وَمَاتَا، وَانْقَطَعَ عَقِبُهُ.

قُلْتُ: أَمَّا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدٌ: فَوُلِدَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَكَانَ شَابًّا ظَرِيفًا فَقِيهًا. تَفَقَّهَ عَلَى وَالِدِهِ، وَسَافَرَ إِلَى بَغْدَادَ، وَاشْتَغَلَ بِالْخِلَافِ عَلَى الْفَخْرِ إِسْمَاعِيلَ. وَسَمِعَ الْحَدِيثَ.

وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِهَمَذَانَ، وَقَدْ كَمَّلَ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا أَبُو الْمَجْدِ عِيسَى: فَيُلَقَّبُ مَجْدُ الدِّينِ. تَفَقَّهَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ بِدِمَشْقَ مِنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَمَنَ الْوَارِدِينَ عَلَيْهَا وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَاسِينَ، الْبُوصِيرِيِّ، وَالْأَرْتَاحِيِّ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ سَعْدِ الْخَيْرِ، وَغَيْرِهِم. وَحَدَّثَ. ذَكَرَهُ الْمُنْذِرِيُّ، قَالَ: وَلِيَ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ بِالْجَامِعِ الْمُظَفَّرِيِّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ. قَالَ: وَاجْتَمَعْتُ مَعَهُ بِدِمَشْقَ، وَسَمِعْتُ مَعَهُ مِنْ وَالِدِهِ.

وَتُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ فِي خَامِسَةٍ – أَو سَادِسَةٍ – سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَمِمَّا رُثِيَ بِهِ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا قَالَهُ فِيهِ الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو عِيسَى مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفِ بْنِ رَاجِحٍ الْمَقْدِسِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ الْمُوَفَّقِ رَغْبَةٌ ... فِي الْعَيْشِ إِنَّ الْعَيْشَ سُمٌّ مَنْقَعُ
صَدْرُ الزَّمَانِ وَعَيْنُهُ وَطِرَازُهُ ... رُكْنُ الْأَنَامِ الزَّاهِدُ الْمُتَوَرِّعُ
بَحْرُ الْعُلُومِ أَبُو الْفَضَائِلِ كُلِّهَا ... شَمْلُ الشَّرِيعَةِ بَعْدَهُ لَا يُجْمَعُ
كَانَ ابْنُ أَحْمَدَ فِي مَقَامِ مُحَمَّدٍ ... إِنْ هَالَهُمْ أَمْرٌ إِلَيْهِ يَفْزَعُوا

فَيُبِينُ مُشْكِلَهُ، وَيُوضِحُ سِرَّهُ   وَيَذُبُّ عَنْ دِيْنِ الْإِلَهِ وَيَدْفَعُ
بِبَصِيرَةٍ يَجْلُو الظَّلَامَ ضِيَاؤُهَا   يُبْدِي الْعَجَائِبَ نُورُهَا يَتَشَعْشَعُ
فَالْيَوْمَ قَدْ أَضْحَى الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ   غَرَضًا لِكُلِّ بَلِيَّةٍ تَتَنَوَّعُ
وَالْعِلْمُ قَدْ أَمْسَى كَأَنَّ بَوَاكِيًا   تَبْكِي عَلَيْهِ وَحَبْلُهُ يَتَقَطَّعُ
وَتَعَطَّلَت تِلْكَ الْمَجَالِسِ   تِلْكَ الْمَحَافِلُ لَيْتَهَا لَوْ تَرْجِعُ
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ يَا مُوَفَّقُ يُرْتَجَى   لِلنَّاسِ خَيْرٌ أَوْ مَقَالٌ يُسْمَعُ
لِلَّهِ دَرُّكَ كَمْ لِشَخْصِكَ مِنْ يَدٍ   بَيْضَاءَ فِي كُلِّ الْفَضَائِلِ تَرْتَعُ
قَدْ كُنْتَ عَبْدًا طَائِعًا لَا تَنْثَنِي   عَنْ بَابِ رَبِّكَ فِي الْعِبَادَةِ تُوسِعُ
كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَعَمَرْتَهَا   وَاللَّهُ يَنْظُرُ وَالْخَلَائِقُ هُجَّعُ
تَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِي جُنْحِ الدُّجَى   كَزَبُورِ دَاوُدَ النَّبِيِّ تَرْجِعُ
لَوْ كَانَ يُمْكِنُ مِنْ فِدَائِكَ رُخْصَةٌ   لَفَدَتْكَ أَفْئِدَةٌ عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

ذِكْرُ نُبْذَةٍ مِنْ فَتَاوِيهِ، وَمَسَائِلِهِ مِنْ غَيْرِ كُتُبِهِ الْمَشْهُورَةِ

قَرَأْتُ بِخَطِّ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، قَالَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ فِي مَسْأَلَةٍ: مَا إِذَا اجْتَمَعَ جُنُبٌ وَحَائِضٌ، وَوَجَدَا مِنْ الْمَاءِ مَا يَكْفِي أَحَدَهُمَا. قَال: إِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ زَوْجَةً لِلرَّجُل، فَهِيَ أَحَقُّ؛ لِأَنَّهَا تُبِيحُ لَهُ الْوَطْءَ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى بَدَلٍ، وَإِنْ كَانَتْ أَجْنَبِيَّةً مِنْهُ، فَهُوَ أَحَقُّ؛ لِأَنَّه يَسْتَبِيحُ الصَّلَاةَ، وَهِيَ تَرْجِعُ إِلَى التَّيَمُّمِ.

وَسُئِلَ إِذَا أُعْتِقَتْ الْجَارِيَةُ: هَلْ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَبْرِئَ نَفْسَهَا بِحَيْضَةٍ،

أَمْ بِثَلَاث؟ قَالَ: إِنْ كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ سَيِّدَهَا لَمْ يَكُنْ يَطَؤُهَا، لَمْ يَجِبْ عَلَيْهَا الِاسْتِبْرَاءُ إِلَّا فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ فِيمَا إِذَا اشْتَرَاهَا فَأَعْتَقَهَا، فَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا: يَجِبُ عَلَيْهَا الِاسْتِبْرَاءُ بِحَيْضَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ يَطَؤُهَا: وَجَبَ عَلَيْهَا اسْتِبْرَاءُ نَفْسِهَا بِحَيْضَةٍ، وَإِلْحَاقُهَا بِالْإِمَاءِ أَوْلَى مِنْ إِلْحَاقِهَا بِالْحَرَائِرِ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الِاسْتِبْرَاءُ، وَذَلِكَ حَاصِلٌ بِحَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِأَنَّ الثَّلَاثَ: إِمَّا عِدَّةٌ عَنْ نِكَاحٍ، أَوْ مَا يُشْبِهُهُ وَهُوَ الْوَطْءُ بِالشُّبْهَةِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْتَفٍ هُنَا.

وَقَالَ فِيمَا إِذَا اتَّفَقَتْ التَّصْرِيَةُ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ الْبَائِعِ: يَتَخَيَّر كَمَا يَتَخَيَّرُ لَو قَصَدَهَا، وَفِيمَا إِذَا رَدَّهَا الْمُشْتَرِي بِعَيْبٍ سِوَى التَّصْرِيَة: يَجِبُ الصَّاعُ مِنْ التَّمْرِ، قِيلَ لَهُ: هِيَ مِنْ ضَمَانِهِ، فَيَكُونُ اللَّبَنُ بِمَنْزِلَةِ الْخَرَاجِ؟ قَالَ: اللَّبَن وَرَدَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ، وَكَانَ مَوْجُودًا بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنْ الْمَنَافِعِ وَالْخَرَاج.

وَسُئِلَ عَنْ الْجَارِيَةِ الْمُشْتَرَكَةِ بين جَمَاعَةٌ: هَلْ يَجُوزُ لِكُلِّ وَاحِدٍ النَّظَرُ إِلَى عَوْرَتَهَا: فَقَال: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، وَخَالَفَ هَذَا مَا إِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ نِسَاءٍ يَجُوزُ لَهُنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ، لِأَنّ الْمُجَوّز لِلنَّظَر هَهُنَا هُوَ الْحَاجَةُ إِلَى الِاسْتِخْدَامِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْعَبْدِ الْمُشْتَرَكِ، وَالنَّظَرُ إِلَى عَوْرَةِ الْجَارِيَةِ: إِنَّمَا جَازَ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوَطْءِ، وَهُو هَهُنَا مُنْتَفٍ لِلِاشْتِرَاكِ.

وَسُئِلَ إِذَا كَانَ عَلَى أَعْضَاءِ وُضُوئِهِ كُلِّهَا جِرَاحَةٌ، أَيُجْزِئُهُ أَنْ يَغْسِلَ الصَّحِيحَ ثُمَّ يَتَيَمَّمُ لَهُمَا تَيَمُّمًا وَاحِدًا؟ قَالَ: لَا، بَلْ يَغْسِلُ الْعُضْوَ الْأَوَّلَ وَيَتَيَمَّمُ لَه، وَكَذَلِك الثَّانِي وَالثَّالِثُ وَالرَّابِعُ، فَيَتَيَمَّمُ أَرْبَعَ تَيَمُّمَاتٍ.

وَقَالَ فِيمَنْ أَعْتِقَ أَبَاهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: الْأَقْيَسُ أَنَّهُ لَا يَرِثُ، وَالْمَذْهَبُ الْإِرْثُ.

وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ: إِذَا أَقَرَّ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ بِعِتْقِ ابْنِ عَمِّهِ، يُعْتَقُ وَلَا يَرِثُ.

وَمِمَّا نَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّ السَّيْفِ بْنِ الْمَجْدَ مِنْ فَتَاوَى جَدِّه مُوَفَّقِ الدِّينِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مُعَامَلَةِ مَنْ فِي مَالِهِ حَرَامٌ، فَأَجَابَ: الْوَرَعُ: اجْتِنَابُ مُعَامَلَةِ مَنْ فِي مَالِهِ حَرَامٌ، فَإِنَّ مَنْ اخْتَلَطَ الْحَرَامُ فِي مَالِهِ: صَارَ فِي مَالِهِ شُبْهَةٌ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْحَرَامِ، إنْ كَثُرَ الْحَرَامُ كَثُرَتْ الشُّبْهَةُ، وَإِنْ قَلَّ قَلَّتْ، وَذَكَرَ حَدِيثَ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ» وَأَمَّا فِي ظَاهِرِ الْحُكْمِ: فَإِنَّهُ يُبَاحُ مُعَامَلَةُ مَنْ لَمْ يَتَعَيَّنْ التَّحْرِيمُ فِي الثَّمَنِ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ: أَنَّ مَا فِي يَدِ الْإِنْسَانِ مِلْكُهُ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: بِعْ الْحَلَالَ مِمَّنْ شِئْتَ، يَعْنِي إِذَا كَانَتْ بِضَاعَتُك حَلَالًا فَلاَ حَرَجَ عَلَيْكَ فِي بَيْعِهَا مِمَّنْ شِئْتَ، وَلَكِنَّ الْوَرَعَ: تَرْكُ مُعَامَلَةِ مَنْ فِي مَالِهِ الشُّبُهَاتُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ».

وَسُئِلَ عَمَّا إِذَا تَعَيَّنَ ثَمَنُ خَمْرٍ أَوْ خِنْزِيرٍ مِنْ الْكَافِرِ: مَا الْحُكْمُ فِي أَخْذِهِ مِنْهُمْ، يَعْنِي بِعَقْدِ وَنَحْوِهِ؟ -وَكَانَ قَدْ أَجَابَ قَبْلَهُ ابْنُ الْمُتَقَّنَةِ الرَّحْبِيُّ[(١)] الشَّافِعِيُّ: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، إِذَا تَعَيَّنَ. فَأَجَابَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ: الْأَوْلَى

---

(١) مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن الْحسن أَبُو عبد الله الرَّحبِي الْمَعْرُوف بِابْن المتقنة، فَقِيه فَاضل، صنف كتبًا، مَاتَ بالرحبة سنة ٥٧٧هـ عَن ثَمَانِينَ سنة. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٥٦/٦.

تَرْكُهُ. وَيَجُوزُ أَخْذُهُ إِذَا كَانَ جَائِزًا فِي دِينِهِمْ؟ لِأَنَّنَا أَقْرَرْنَاهُمْ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ دِينِهِمْ.

وَسُئِلَ عَنْ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ: ثَبَتَتْ بِالنَّصِّ أَوْ بِالْقِيَاسِ؟ فَأَجَابَ ابْنُ الْمُتَقَّنَةِ: ثَبَتَتْ بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَاتِّفَاقِهِم فَكَتَبَ الشَّيْخُ الْمُوَفَّقُ: ثَبَتَتْ بِنَصِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ، ذَكَرَ بَعْضَهَا.

وَسُئِلَ ابْنُ الْمُتَقَّنَةِ فِي بَعْضِ ذِكْرِ الْحَرْب تَكَرَّر (حَرْبٌ عَوَانٌ) مَا الْعَوَانُ فِي اللُّغَةِ؟ فَأَجَاب: (الْعَوَان)، أَشَدُّ مَا يَكُونُ. فَضَرَب الشَّيْخُ عَلَى الْجَوَابِ، وَكَتَب: الْحَرْبُ الَّتِي تَقَدَّمَهَا حَرْبٌ أُخْرَى.

قَال السَّيْف: وَكَتَبَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْ كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْأَنْصَارِيِّ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ يَمِيلُ إِلَى التَّشْبِيه. فَلَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ، فَأَلْحَقَ جَدِّي: حَاشَاهُ مِنَ التَّشْبِيهِ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِيهِ.

وَقَالَ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي فِيهَا أَرْبَعُونَ، يَسْمَعُونَ النِّدَاءَ مِنَ الْمِصْرِ: إِنَّهُمْ مُخَيَّرُونَ بَيْنَ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ بِهَا، وَبَيْنَ السَّعْيِ إِلَى الْمِصْرِ. قَال: وَهُوَ أَوْلَى لِلْخُرُوجِ مِنَ الْخِلَافِ. قَالَ: فَإِنْ كَانَتْ قَرْيَةٌ فِيهَا أَرْبَعُونَ، وَقَرْيَةٌ فِيهَا دُونَ الْأَرْبَعِينَ: فَإِنْ مَضَى الْأَقَلُّ إِلَى الْأَكْثَرِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ الْجُمُعَةَ: جَازَ، وَبِالْعَكْسِ لَا يَجُوزُ، وَإِنْ جَاءَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْبَعِينَ إِمَامٌ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَقَامَ بِهِمْ الْجُمُعَةَ: جَازَ؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ، فَجَازَ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا لِغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ.

وَنَقَلَ ابْنُ حَمْدَانَ الحَرَائِي: أَنَّ قَاضِيَ حَرَّانَ أَرْسَلَ سُؤَالًا إِلَى الشَّيْخ مُوَفَّقِ الدِّينِ فِي وَكِيلِ الْغَائِبِ، إِذَا طَالَبَ بِدَيْنِ مُوَكِّلِهِ، فَادَّعَى الْمَدِينُ: أَنَّ

مُوَكِّلَهُ قَدْ اسْتَوْفَى دَيْنَهُ، فَهَلْ لِلْقَاضِي دَفْعُ الْوَكِيلِ وَمَنَعُهُ مِنَ الِاسْتِيفَاءِ، حَتَّى يَحْلِفَ الْمُوَكِّلَ: أَنَّهُ مَا اسْتَوْفَى وَلَا أَبْرَأَ؟.

فَأَجَابَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ: أَنَّ الْوَكِيلَ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ الِاسْتِيفَاءِ، مِنْ غَيْرِ يَمِينِ مُوَكِّلِه، وَعَلَّلَ بِأَنَّ الْمُوَكِّلَ لَوْ كَانَ حَاضِرًا مَا اسْتَحَقَّ الِاسْتِيفَاء بِغَيْرِ يَمِينٍ، وَالْوَكِيل قَائِمٌ مَقَامَهُ. وَذَكَرَ ابْنُ حَمْدَانَ: أَن النَّاصِح بْنِ أَبِي الْفَهْمِ أَنْكَرَ ذَلِكَ. وَقَالَ: لَا خِلَافَ فِي الْمَذْهَبِ أَنَّ الْوَكِيلَ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ الِاسْتِيفَاءِ بِذَلِكَ. وَأَخْرَج كَلَامَ الْقَاضِي وَابْنِ عَقِيلٍ فِي الْمُجَرَّدِ بِمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ. وَذَكَرَ عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّهُ حَكَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ خِلَافًا بَيْنَهُم.

قَال النَّاصِحُ: وَقَدْ ذَكَرَ الْمُوَفَّقُ فِي الْكَافِي: أَنَّ الدَّعْوَى عَلَى الْغَائِبِ لَا تُسْمَعُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ، وَدَعْوَى الْمَدِينِ الْإِبْرَاءُ وَالِاسْتِيفَاءُ هَهُنَا دَعْوَى بِلاَ بَيِّنَةٍ عَلَى غَائِبٍ، فَكَيْفَ تُسْمَعُ؟ ثُمَّ أَرْسَلَ هَذَا إِلَى الشَّيْخِ الْمُوَفَّقُ.

فَأَجَابَ: أَمَّا الْمَسْأَلَةُ الَّتِي فِي الْوَكَالَةِ: فَإِنَّمَا أَفْتَيْتُ فِيهَا بِاجْتِهَادِي، بِنَاءً عَلَى مَا ذَكَرْتُ فِي التَّعْلِيلِ. فَإِذَا ظَهَرَ قَوْلُ الْأَصْحَابِ وَغَيْرِهِمْ بِخِلَافِهِ فَقَوْلُهُم أَوْلَى. وَالرُّجُوعُ إِلَى قَوْلِهِمْ مُتَعَيِّنٌ، لَكِنْ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُخْتَلَفٌ فِيهَا، وَأَنَّهَا مِمَّا يَسُوغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ. وَأَمَّا قَوْلِي وَقَوْلُ الْفُقَهَاءِ «لَا تُسْمَعُ الدَّعْوَى عَلَى الْغَائِبِ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ» فَإِنَّمَا أُرِيدُ بِهَا الدَّعْوَى الَّتِي إِذَا سَكَتَ صَاحِبُهَا تُرِكَ، وَإِذَا سَكَتَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ لَمْ يُتْرَكْ؛ لِأَنَّ سَمَاعَ هَذِهِ الدَّعْوَى لَا يُفِيدُ شَيْئًا. إِذْ مَقْصُودُهَا الْقَضَاءُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ. فَإِذَا خَلَتْ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ حَاضِرًا، لَمْ تُفِدْ الدَّعْوَى شَيْئًا. إِذْ لَا يُمْكِنُ الْقَضَاءُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، وَلَا إِقْرَارٍ، وَلَا نُكُولٍ، وَلَا رَدِّ يَمِين.

وَالدَّعْوَى هَهُنَا تُرَادُ لِلْمَنْعِ مِنْ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ. وَذَلِكَ مُمْكِنٌ مَعَ الْغَيْبَةِ، وَسَمَاعِ الدَّعْوَى مُفِيدٌ.

وَمِنْ مَبَاحِثِهِ الْحَسَنَةِ -نُقِلَتْ مِنْ خَطِّ بَهَاءِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَقْدِسِيِّ-: سُئِلَ شَيْخُنَا مُوَفَّقُ الدِّينِ عَنْ قَوْلِ الْخِرَقِيِّ: وَإِنْ أَقَرَّ الْمَحْجُورُ عَلَيْهِ بِمَا يُوجِبُ حَدًّا أَوْ قِصَاصًا، أَوْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ لَزِمَهُ ذَلِكَ. وَإِنْ أَقَرَّ بِدَيْنٍ لَمْ يَلْزَمْهُ فِي حَالِ حَجْرِهِ، مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟ فَقَالَ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالدَّيْنِ إقْرَارٌ بِالْمَالِ، وَالْمَالُ مَحْجُورٌ عَلَيْهِ فِيهِ. فَلَوْ قَبِلْنَا إقْرَارَهُ فِي الْمَالِ أَتَى ذَلِكَ إلَى فَوَاتِ مَصْلَحَةِ الْحَجْرِ، وَهُوَ أَنَّهُ يُقِرُّ لِهَذَا بِدَيْنٍ وَلِهَذَا فَيُفَوِّتُ عَلَيْهِ مَالَهُ، فَلَا يَلْزَمُهُ الْإِقْرَارُ فِيهِ. وَأَمَّا الْإِقْرَارُ بِالْحَدِّ وَالْقِصَاصِ أَو طَلَاقِ الزَّوْجَةِ: فَإِنَّهُ إقْرَارٌ بِشَيْءٍ لَمْ يَحْجُرْ عَلَيْهِ فِيهِ، فَلَزِمَه، كَمَا لِوَلَدِهِ أَنْ يَحْجُرَ عَلَيْهِ. وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إذَا لَزِمَهُ الْإِقْرَارُ فِي الْحَدِّ وَالْقِصَاصِ أَدَّى إلَى فَوَاتِ حَقِّهِ، وَإِذَا لَزِمَهُ الْإِقْرَارُ فِي الْمَالِ أَدَّى إلَى فَوَاتِ حُقُوقِ الْغُرَمَاءِ، فَلَزِمَهُ الْإِقْرَارُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَمْ يَلْزَمْهُ فِيمَا يَعُودُ إلَى غَيْرِهِ. فَقِيلَ لَهُ: عَلَى هَذَا: أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالْحَدِّ أَيْضًا يُؤَدِّي إلَى فَوَاتِ حُقُوقِ الْغُرَمَاءِ فِيمَا كَانَ الْحَاكِمُ قَدْ أَخَذَهُ لِيَقْضِيَ دَيْنَهُ، عَلَى الرِّوَايَةِ الَّتِي تَقُولُ: أَنَّهُ إذَا كَانَ ذَا صَنْعَةٍ، فَإِنَّ الْحَاكِمَ يُؤَجِّرُهُ لِيَقْضِيَ بَقِيَّةَ دِينِهِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَلْزَمْنَاهُ بِالْإِقْرَارِ.

فَقَالَ: إنَّمَا يَفُوتُ ضِمْنًا وَتَبَعًا، وَيَصِيرُ كَمَا نَقُولُ فِي الزَّوْجَةِ: إنَّهَا إذَا أَقَرَّتْ بِالْحَدِّ أَوْ الْقِصَاصِ لَزِمَهَا، وَإِنْ فَاتَ حَقُّ الزَّوْجِ.

فَقِيلَ لَهُ: فَمَا تَقُولُ فِي الْحَامِلِ إِذَا أَقَرَّتْ بِمَا يُوجِبُ حَدًّا أَوْ قِصَاصًا، أَلَيْسَ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ بِهَا حَتَّى تَلِدَ؟ فَقَالَ: هَهُنَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَقَّيْنِ، فَخِلَافُ مَا نَحْنُ فِيهِ.

قُلْت: قَدْ يُقَالُ فِي صُورَةِ إِيجَارِ الْمُفْلِسِ لِوَفَاءِ بَقِيَّةِ دِينِهِ: كَانَ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَقَّيْنِ بِتَأْخِيرِ اسْتِيفَاءِ الْقِصَاصِ إِلَى أَنْ يُوفِّيَ الدَّيْنَ مِنْ كَسْبِهِ.

وَقَدْ يُجَابُ عَنْهُ بِأَنَّ الْحَامِلَ أُخِّرَتْ لِئَلَّا تَزْهَقَ بِالِاسْتِيفَاءِ مِنْهَا نَفْسٌ مَعْصُومَةٌ. فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَثْبُتَ الْحَدُّ أَوْ الْقِصَاصُ عَلَيْهَا بِالْإِقْرَارِ أَوْ الْبَيِّنَةِ. وَهَهُنَا لَوْ ثَبَتَ الْحَدُّ أَوْ الْقِصَاصُ بِبَيِّنَةٍ لَمْ يُؤَخَّرْ إِلَى أَنْ يُوفِّيَ بَقِيَّةَ الدِّينِ. فَكَذَا إِذَا ثَبَتَ بِالْإِقْرَار فَإِنَّ التُّهْمَةِ فِي مِثْلِ هَذَا مُنْتَفِيَةٌ.

وَمَن فَتَاوِيهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ - نَقَلْتُهَا مِنْ خَطِّ الْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبِرْزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سُئِل: هَلْ تَجُوزُ الرِّوَايَةُ مِنْ نُسْخَةٍ غَيْرِ مُعَارَضَةٍ؟.

فَأَجَابَ: إِذَا كَانَ الْكَاتِبُ مَعْرُوفًا بِصِحَّةِ النَّقْلِ وَقِلَّةِ الْغَلَطِ جَازَتِ الرِّوَايَةُ.

وَسُئِلَ: إِذَا لَمْ يَذْكُرِ الْقَارِئُ الْإِسْنَادَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، وَذَكَرَهُ فِي آخِرِهِ، وَقَالَ: أَخْبَرَكَ بِهِ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ، وَأَقَرّ الشَّيْخُ بِذَلِكَ فَهَلْ يُجْزِئُهُ.

فَأَجَابَ: يَجُوزُ إِذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ عَقِيبَ قِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَلَا.

وَسُئِلَ: هَلْ يَصِحُّ السَّمَاعُ بِقِرَاءَةِ الصَّبِيِّ وَالْفَاسِقِ؟

فَأَجَابَ: إِنْ كَانَ لَهُ مُقَابِل صَحَّ، وَإِلَّا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رِوَايَتِهِ.

وَسُئِل: هَلْ يَجُوزُ الْكِتَابَةُ وَالْمُطَالَعَةُ، أَوِ الْإِغْفَاءُ يَسِيرًا، فِي وَقْتِ السَّمَاعِ أَوْ يَجُوزُ لِلشَّيْخِ أَنْ يَكْتُبَ وَيَقْرَؤُونَ عَلَيْهِ؟

فَأَجَاب: مَا رَأَيْنَا أَحَدًا يَحْتَرِزُ مِنْ هَذَا.

وَسُئِل: إِذَا سَقَطَ مِنْ مَتْنِ الْحَدِيثِ حَرْفٌ أَوْ حَرْفٌ وَأَلِفٌ، هَلْ يَجُوزُ إِثْبَاتُهَا؟ وَهَلْ يَجِبُ إِصْلَاحُ لَحْنٍ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَابِ؟

فَأَجَابَ: يَجُوزُ إِصْلَاحُهُ. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: يُصْلِحُ اللَّحْنَ وَالْخَطَأَ وَالتَّحْرِيفَ فِي الْحَدِيثِ.

وَسُئِلَ: إِذَا وَجَدَ فِي كِتَابِهِ اسْمًا مُصَحَّفًا أَوْ كَلِمَةً، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي سَمَاعِ شَيْخِهِ. فَهَلْ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُغَيِّرَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى الصَّوَابِ؟ أَجَابَ: لَهُ تَغْيِيرُهُ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

مصادر أخرى لترجمة موفق الدين ابن قدامة

مرتبة حسب وفيات مؤلفيها

م	المصدر	الوفاة
٠١	معجم البلدان، لياقوت الحموي، (جَمَّاعِيل)، دار صادر ١٥٩/٢	٦٢٦
٠٢	التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة، دار الكتب العلمية ص ٣٣٠	٦٢٩
٠٣	ذيل تاريخ بغداد، لابن الدبيثي، ت بشار عواد ٤٣٨/٣	٦٣٧
٠٤	مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، دار الرسالة، دمشق ٢٦٥/٢٢.	٦٥٤
٠٥	التكملة لوفيات النقلة، لعبد العظيم المنذري، ت بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة ١٠٧/٣ الترجمة ١٩٤٤	٦٥٦
٠٦	ذيل الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي شامة المقدسي، مطبوع مع الروضتين، دار الكتب العلمية ٢١٢/٥	٦٦٥
٠٧	تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، لابن الفوطي، ت مصطفى جواد، ٥/الترجمة ١٩٦٢	٧٢٣
٠٨	مجمع الآداب في معجم الألقاب، لابن الفوطي، ت محمد الكاظم ٦١٥/٦ الترجمة رقم ٥٨٢٨	٧٢٣
٠٩	البداية والنهاية، لابن كثير ٩٩/١٣-١٠١	٧٤٤

م	المصدر	الوفاة
١٠	تاريخ الإسلام، للذهبي، ت بشار عواد ٦٠١/١٣ برقم ٦٦٩	٧٤٨
١١	العبر في خبر من غبر، للذهبي ت زغلول ١٨١/٣-١٨٢ والعبر ٧٩/٥	٧٤٨
١٢	المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبيثي، للذهبي ١٣٤/٢ ١٣٥ الترجمة رقم ٧٦٣ والمطبوع مع تاريخ بغداد للخطيب ٢١٢/١٥	٧٤٨
١٣	دول الإسلام، للذهبي، ت بشار عواد وآخرين ١٢٨/٢	٧٤٨
١٤	تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي، ت بشار ٦٠١/١٣	٧٤٨
١٥	سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط الرسالة ١٦٥/٢٢	٧٤٨
١٦	فوات الوفيات، لابن شاكر ٤٣٣/١ ٤٣٤	٧٦٤
١٧	ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، ت الفقي ١٣٣/٢ ١٤٩، ت العثيمين ٢٨١/٣	٧٩٥
١٨	ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لأبي الطيب الفاسي ٢٧/٢ ترجمة رقم ١١٠١	٨٣٢
١٩	عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني ١٧/الورقة ٤٤٠	٨٥٥
٢٠	الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قُطْلُوْبَغَا ٤٧٧/٥	٨٧٩

م	المصدر	الوفاة
٢١	المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لبرهان الدين ابن مفلح، ت العثيمين، ٢/١٥-٢٠	٨٨٤
٢٢	التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للقنوجي ٢١٨ – ٢٢٠ ترجمة رقم ٢٣٨	١٠٢٨
٢٣	سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة ٢/٢٠٣	١٠٦٧
٢٤	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ت محمود الأرناؤوط ٧/١٥٥-١٦٣	١٠٨٩
٢٥	تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة، لصالح بن عبد العزيز العثيمين ٢/٧٦٢	١٣٢٠
٢٦	معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة الدمشقي، الناشر: مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦/٣٠	١٤٠٨
٢٧	معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لعادل نويهض ١/٣٠٤	معاصر
٢٨	معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط ٢/١٣٥٢	معاصران

* * *